



فجعت قبل أيام بخبر موت صديق حبيب مقرب ، لم يكن يدور بخيالي لحظة أن أفقده ، واستغرقت وقتا ليس بالقصير لاستوعب أنه قد لفه الموت فداراه عني إلى يوم يبعثون!

تبعد جنازة الحبيب الاستاذ جمال ، وتعلقت عيني بجثمانه المسجى بلا حراك ، وهو الحارث الهمام الذي كان يملأ الدنيا حركة ونشاطا وحديثا ونقاشا وأثرا وبسمات ومزاحات ..

غبطته في جنازته التي علتها السكينة وخيمت عليها الطمأنينة ، وملأها المحبون ، ورفعت فيها أكف الدعاء ملخصة مختلطة بالدمعات الندية المحبة له ..

ذكرت له الخير ، فقد كان قلبا نقيا ، وخلقا يقتدى ، وداعية خير ، ومعلم فضيلة ، فأحسبه والله حسيبه من أهل الصلاح والتقوى ..

ذكرت أنه لطالما أوصاني بالخير ، ولطالما حذرني من التفريط في الوقت ، ولطالما دفعني نحو فعل الخير دفعا ، ورغبني في العفو والصفح ترغيبا ..

فكثيرا ما تبادلنا الاستغراب والاستعجب من سرعة دورة الزمان ، وكيف أن الشيب قد غزا رؤوسنا ، وأن العمر يتسرّب من بين جوانبنا تسرّب الماء من بين الأصابع ، وكثيرا ما تعاهدنا على الثبات لنعم بصحبة في الخالدين ..

قد أنعم الله على صاحبي الخلق الطيب بخاتمة حسنة ، فقد صلى صلاته وقرأ ورده من القرآن ، ولما فاجأته الأزمة القلبية
ظل ينطق الشهادة حتى توفاه الله .

لقد تركني صاحبي ورحل ، رحل عنِّي ولم يرحل منِّي ، ولا تزال كلماته حول اجتناب مواقف الحسرات ترن في أذني ، وهأنذا
أبلغها للقارئ ليُعود الثواب الصالح إليه - رحمه الله -

إن الموت لا يخيفني في ذاته ، فالكل ميت ، وإنما نحن جميعاً في مهلة قريبة وحسب .

إنما يخيفني من الموت حسراته ، فاشد ما يوجع عند ذكر الموت هو تلك الحسرة التي تحصل لمن أدركه الموت على
خسارته ، وتفريطه ، وغفلته ولهوه ، ولغوه ، وصراعه على الدنيا وزينتها ..

إنها الحسرة البالغة التي تبعها الحسرات الثقال ، لحظة " اجتماع سكرة الموت مع حسرة الفوت " !

لكم مرت علينا أوقات راحة ، وأوقات فراغ ، وأوقات صحة ، وأوقات طاقة ، وأوقات مرح وفرح ، وأوقات كسل ودعة ،
ضياعناها كلها فيما لا طائل من ورائه إلا المسئولية الثقيلة والتبعية الرزيلة .

لكن لحظة الموت تنجي فيها حقائق الفوت ، ويرى المرء ساعتها ما قدم وما أخر ، ويتمني أن يعود ليصلح ، لكن هيئات ،
ولات حين مندم !

قال سبحانه : " حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن
ورائهم بربخ إلى يوم يبعثون "

قال عمر بن عبد العزيز في آخر خطبة له : " خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحرم جنة عرضها
السموات والأرض ، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيرثها بعدكم الباقيون ، كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين ، وفي كل
يوم تشيرونون غادياً إلى الله ، قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، فتدعونه ، وتدعونه في صدع من الأرض ، غير موسد ولا
ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وسكن التراب ، وواجه الحساب ، غنياً بما خلف ، فقيراً بما أسلف ، فاتقوا الله
عباد الله قبل نزول الموت ، وانقضاء مواقيته " .

ومن أشد الحسرات ايضاً ما يحصل في القبر للعباد الخاسرين عندما يفتح لهم باب إلى الجنة فيقال : هذا مقعدك لو آمنت، ثم يفتح لهم باب إلى النار فيقال هذا مقعدك، فيتحسر على فوات مقعده من الجنة.

ومن أعظم الحسرات يوم القيمة ما وصف الله به ذلك اليوم في قوله: (يوم الحسرة) وفيه أشد الحسرة إنما تكون كما جاء في الحديث عندما يؤتى بالموت على هيئة كيش فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت !

وقد حذر الله تعالى عباده حتى لا يتحسروا من غفلتهم وجرائمهم وأمرهم بالتوبة والرجوع وعدم اليأس من رحمة الله قال تعالى: " قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَيَّ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلٍ أَن يُؤْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّاكِنِينَ "

وقال سبحانه : " قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَنَبُوا بِلِقَاءَ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ "

المصادر:

المسلم